الجوانب الاقتصادية من الهجرة النبوية

د. الامام بله طيب الاسماء حمد

السودان - جامعة وادي النيل - قسم الاقتصاد الإسلامي

إن هجرة الصحابة رضوان الله عليهم أولا من مكة لشتى بقاع الأرض كالحبشة مثلا؛ ثم هجرة الرسول – صلى الله عليه وسلم – والصحابة إلى المدينة المنورة من بعد لم تكن نزهةً ورحلة؛ ولكنَّها مغادرةٌ للأهل، الأرض، والمال، وأسباب الرِّزق، والتَّخلِّي عن كلِّ ذلك من أجل العقيدة والتَّربية الإيمانيَّة العميقة. الهجرة إلى المدينة كانت بمثابة تخفيفا عن النفس والمال والأهل؛ فتركوا الأموال، وتركوا التجارات، وتركوا بيوتهم، مهاجرين إلى الله ورسوله، للاستخلاف في الأرض وإقامة الدين والدولة الإسلامية بدلا من دولة الدعوة الأولى مكة المكرمة.

أولا: أسباب الهجرة: المعارضة والمقاطعة

معارضة الحق: إن من أسباب معارضة الدعوة هو الحرص على المكانة والرئاسة والجاه من ملوك الكفار الذين علموا بنبوته وصدقه، وأقرُّوا بها باطنا، وأحبوا الدخول في دينه، ولكن خافوا على ملكهم، فأعلنوا حربهم لهذا الدين تخوفا من انتشاره وخاصة المساواة بين أفراد المجتمع (الغني منه والفقير، والذي يجعل حقا للمرأة والصبي)؛ فكانت الخطوات الآتية:

- **صحيفة المقاطعة**: وجدت قريش أن المسلمين في مكة يزدادون يوما بعد يوم، وأن صنوف التعذيب لم تثنهم عن دينهم، وأن مهاجري الحبشة يتمتعون بحماية ملكها، ومسلمي مكة يجاهرون بصلاتهم منذ إسلام عمر – رضي الله عنه –، ورسول الله – صلى الله عليه وسلم – ممتنع ببني هاشم؛ لذا فكرت قريش في مواجهة شاملة تواجه بها محمداً وأصحابه ومن يناصرهم فاتفقوا على مقاطعة بني هاشم؛ وكان الجانب الاقتصادي من ضمن المقاطعة حاضرا؛ فلا **يبيعونهم شيئا ولا يبتاعون** منهم حتى يسلّموا محمداً إليهم فيقتلوه.
- **وفاة السيدة خديجة – رضي الله عنها** – وهي تمثل وزارة المالية بالمفهوم الحديث للدولة إذ إنها تنفق مالها خدمة لدين الله ومحبة في رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.
- **فرض الحصار على بيته**: اتفق مشركوا مكة في دار الندوة على قتله – صلى الله عليه وسلم –؛ (ولولا عناية الله سبحانه وتعالى لنبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – لكان هناك القتل أو الحبس داخل البيت

وبمقدورهم منع وصول الطعام إليه وهذا ما يعرف بالإقامة الجبرية، وهذه من الوسائل التي مازال استخدامها مستمراً.

- **انتشار الإسلام في المدينة**: منذ أن أُمر النبي – صلى الله عليه وسلم – بنشر الدَعوة الإسلامية، لم يترك مكاناً أو مناسبةً يتجمَّع فيها النَّاس إلا وسعى إليهم عارضاً عليهم نفسه وما جاء به من عند الله، خاصَةً في موسم الحج وأيام أسواق العرب؛ فما إن يعلم بقدوم أحد من العرب إلى مكة إلا وتصدى لهم، فيعرض عليهم ما عنده، ويدعوهم إلى الله، ويخبرهم أنَه نبي مرسل، ويسألهم أن يصدقوه ويقوموا معه، فمنهم من كفر وصد، ومنهم من آمن وصدق. فكانت بيعتا العقبة؛ اقتصرت الأولى على مبايعته على ألا يشركوا بالله شيئا، وألا يسرقوا، ولا يزنوا، ولا يقتلوا أولادهم، وأن يطيعوه في المعروف، وكان هدفه – صلى الله عليه وسلم – من ذلك أن يبني فردا مؤمنا يتَصف بعقيدةٍ سليمة، وبأخلاقٍ حميدةٍ فاضلة. أما البيعة الثانية فكانت المبايعة على خمسة أمور في غاية المشقة والشدة؛ فطبيعة هذه المرحلة لا تحتمل الغموض وسوء الفهم، بل إن بناء الأُمة الصالحة القوية يحتاج إلى عطاء وكفاح، فقد قال – صلى الله عليه وسلم –: (تُبايعوني على السَّمع والطاعة في النشاط والكسل، وعلى **النفقة** في العسرِ واليسر، وعلى الأمرِ بالمعروف، والنهي عن المنكر، وعلى أن تقولوا في الله لا تأخذكُم فيه لومة لائم، وعلى أن تنصروني إذا قدمت يثرِب، فتمنعوني مما تمنعون منه أنفُسكم وأزواجكم وأبناءكم ولكم الجنة).

ثانيا: الجوانب الاقتصادية للهجرة النبوية من غار ثور إلى المدينة

- **تسليم الأمانات**: كان الناس في مكة يضعون ما يخشون عليه أمانة لدى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما يعلمون من صدقه وأمانته؛ فالأمانة: عفة الأمين عما ليس له به حق. وتتضمن هذه الخطوة تسليم الودائع لأهلها لذا أوصى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – علياً – رضي الله عنه – يقوم بتوزيع الأمانات المودعة لدى رسول الله لأصحابها. لقوله تعالى: **إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً**.
- **الإنفاق في سبيل الله**: قال ابن إسحاق: ... لما خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وخرج أبو بكر معه ماله كله معه خمسة آلاف درهم أو ستة آلاف درهم. قالت: فدخل علينا جدي أبو قحافة وقد ذهب بصره. فقال: والله إني لأراه قد فجعكم بماله مع نفسه؟ قالت: قلت: كلا يا أبتاه إنه قد ترك لنا خيرا كثيرا. قالت:

وأخذت أحجارا فوضعتها في كوة في البيت الذي كان أبي يضع ماله فيها، ثم وضعت عليها ثوبا، ثم أخذت بيده فقلت: يا أبتاه ضع يدك على هذا المال. قالت: فوضع يده عليه. فقال: لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن، وفي هذا بلاغ لكم، ولا والله ما ترك لنا شيئا ولكن أردت أن أسكن الشيخ بذلك.

- **المخاطرة بالمال والولد**: كان أبناء أبي بكر عبد الله وأسماء – رضي الله عنهم – ما يذهبان إلى غار جبل ثور يحملان الخبر والطعام، قالت أسماء – رضي الله عنها –: لما خرج رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وأبو بكر أتانا نفر من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فوقفوا على باب أبي بكر، فخرجت إليهم فقالوا: أين أبوك يا ابنة أبي بكر؟ قالت: قلت: لا أدري والله أين أبي. قالت: فرفع أبو جهل يده وكان فاحشا خبيثا فلطم خدي لطمة طرح منها قرطي ثم انصرفوا.

كذلك خاطر أبو بكر بماله للمصادرة فيما لو علمت قريش بذلك، لأن عامر بن فهيرة يرعى في رعيان أهل مكة، فإذا أمسى أراح عليهما غنم أبي بكر فاحتلبا وذبحا.

- **الذهاب إلى غار جبل ثور**: ومكثوا فيه ثلاثة أيام، كان عبد الله بن أبي بكر وأخته أسماء يحملان الأخبار والطعام والماء إليهما، وبعد أن مكثا في الغار ثلاثة أيام ركبا صوب يثرب وكان عبد الله بن أريقط" دليلا لهما قطعوا المسافة في ثمانية أيام ووصلوا إلى قباء ضاحية يثرب يوم الأثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول.
- **الاستئجار**: استأجر عليه الصلاة والسلام عبد الله بن الأريقط رغم أنه مشرك لمعرفة بضروب الصحراء للقيام بعملية الرحلة من مكة الي المدينة، وهنا يمكن القول الاستعانة بغير المسلم، كما هو الحال فيما بعد عندما رهن درعه عليه الصلاة والسلام لليهودي مقابل شعير لأهل بيته – رضي الله عنهم – في "صحيح البخاري" من حديث أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها – أنها قالت: (توفي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين صاعاً من شعير). وكذلك أخرج هذا الحديث الترمذي في جامعه عن ابن عباس قال: توفي النبي – صلى الله عليه وسلم – ودرعه مرهونة بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله. لذا يمكن القول **بجواز الاستعانة بالكافر المأمون**.
- **الإغراء بالمال**: أعلنت قريش في نواديها بمكّة جائزة أو جُعلٍ يقدر بمائة من الإبل مقابل أنَّه من يأتِ بالنَّبيِّ محمدٍ – صلى الله عليه وسلم –، حيا، أو ميتا، سماها سراقة بالدية قال: قلت له يا رسول الله: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، هنا نستشف من الأمانة والصفات التي كانت موجودة عند العرب، كان بالأحرى من عبد

الله بن الأريقط أن يسلمهما لكافر قريش ويفوز بالمائة ناقة، لكنه قبل الأجرة.

وكذلك استمرارية الوسيلة في عصرنا الحديث وهي مازالت تستخدم للتشفي من الخصوم. يلاحظ من هذه الوسيلة (الإغراء بالمال) الصفات الحميدة التي كانت موجودة في الجزيرة العربية والتي قال عنها المصطفى – صلى الله عليه وسلم –: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)، بمعنى كان بإمكان خبير الرسول – صلى الله عليه وسلم – أن يخون الأمانة ويقوم بتسليمهم لصناديد قريس، لكنه آثر بالأجرة وتعفف عن الجائزة.

- **ضيافته – صلى الله عليه وسلم – في خيمة أم معبد**: استغرقت الرحلة من مكة إلى المدينة ١٤ يوما حيث المسافة ٤٨٠ كم، والقوافل تستغرقها عادة في ١٠ أيام، لكن الرسول – صلى الله عليه وسلم – استغرقت هذه المسافة في ١٤ يوما، لأنه قضى في غار "ثور" ثلاثة أيام، وثلاثة في قباء، وكان السير في الصحراء ثمانية أيام.

إن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين خرج من غار جبل ثور متجها إلى المدينة، هو وأبو بكر – رضي الله عنه –، ومولى أبي بكر عامر بن فهيرة، ودليلهما عبد الله بن أريقط الليثي، مرُّوا على خيمة أم معبد الخزاعية وكانت امرأة كبيرة في السن، **فسألوها لحماً وتمراً ليشتروا منها، فلم يصيبوا عندها شيئاً من ذلك**، وكان يمر عليهم سنين عجاف قد نفذ زادهم، وأصابهم القحط، وهنا لابد من وقفة اقتصادية هي مسألة التوكل على الله بمعنى رجل معدم يترك زوجته معدمة في فلاة ويأتي مساء يصيب شيئا من الأكل أو مما ما تدره أغنامهم من اللبن وهذا ما يقودنا لحديث عمر – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: (لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطانا)، رواه الترمذي، وبما أن طعام اللبن هو الأفضل على سائر الأطعمة؛ حيث جاء ابن عباس – رضي الله عنهما – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه، ومن سقاه الله لبنا فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه، فإنه ليس يجزئ من الطعام والشراب إلا اللبن). رواه الشيخان البخاري ومسلم.

وفي حديث الإسراء والمعراج عن أنس – رضي الله عنه – قال: (إن جبريل عليه السلام جاء للنبي – صلى الله عليه وسلم – بإناء من خمر وإناء من لبن فاختار الرسول – صلى الله عليه وسلم – إناء اللبن، فقال له جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة).

وعندما لم يجدوا شيئا **يبتاعوه من أم معبد** طلبوا **الضيافة** بالآتي نظر رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

إلى شاة عجفاء في جانب الخيمة، فقال: ما هذه الشاة يا أم معبد؟ قالت: شاة خلفها الجهد عن الغنم تعني أنها هزيلة لا تقدر على المشي مع الغنم، قال عليه الصلاة والسلام: (هل بها من لبن)، قالت: هي أجهد من ذلك، تعني أنها لضعفها لا يمكن أن يكون بها من لبن، فقال عليه الصلاة والسلام: (أتأذنين لي بأن أحلبها)، لما رأت عليه من مخايل النبوة ومهابة الفضل والشرف قالت له إن بها حلبا فاحلبها، فدعا بها رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، فمسح بيده ضرعها، وسمى الله جل ثناءه، ودعا لها في شاتها، فتحت ما بين رجليها للحلب؛ لكثرة ما اجتمع في ضرعها من اللبن ببركة دعائه ومسحه عليه الصلاة والسلام، قالت: ودرت واجترت، فدعا بإناء يكفي لإشباع الرهط فبدأ – صلى الله عليه وسلم – وسقى رسول الله أم معبد حتى رويت، وسقى أصحابه حتى رووا، ثم شرب آخرهم.

إن من تواضعه وكرمه أن بدأ بصاحبة الدار، ثم أعطى أصحابه، يخدمهم وهو أشرف الخلق، ثم شرب بعدهم، فلم يتقذر مما شربوا. وقالت أم معبد: ثم أراضوا؛ أي: شربوا مرة بعد مرة، وهو ما يسميه العرب العلل بعد النهل، قالت: ثم حلب فيه ثانياً بعد بدءٍ حتى ملأ الإناء، ثم غادره عندها، وبايعها وارتحلوا عنها، فقلّ ما لبث حتى جاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا.

- **نفقات الضيافة**: تُعدّ الضيافة أفضل القيم والعادات الإسلامية الحسنة التي تبناها الإسلام، لذلك عندما وصل الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه إلى قباء نزلوا ضيوفا عند بني عمرو بن عوف بن مالك وهم سكان المنطقة، والضيافة تعنى في الاصطلاح إكرام الضيف والإحسان إليه. وفسر العلماء ابن السبيل في قوله تعالى: لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (سورة البقرة: ١٧٧) بأنه الضيف. وفسر قوله تعالى: لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ (سورة النساء: ١٤٨). هو الرجل الذي ينزل بالرجل لا يحسن ضيافته.

وقيل أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – مكث فيها أربعة عشر يوما. أسس فيها مسجد قباء وهذا ما أورده

ابن إسحاق وغيره من أصحاب السير والتاريخ: أن النبي – صلى الله عليه وسلم – نزل في بيت كلثوم بن الهدم، وكان يجلس للناس في بيت سعد بن خيثمة؛ لأنه كان عزبا وينزل عنده عزاب المهاجرين. وأقام النبي – صلى الله عليه وسلم – بقباء أربعة عشر يوما على أصح أقوال أهل العلم أسس فيها مسجد قباء ثم بعدها إلى المدينة المنورة وما مره رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بدار من ديار الأنصار إلا طلبوا الضيافة والإقامة.

- **الهدية**: التهادي بين الناس أمر مرغب فيه شرعاً وعادة، قال الله تعالى عن ملكة سبأ: **وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ** (سورة النمل).

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (لو أُهديت إليّ ذراع لقبلت، ولو دعيت إلى كراع لأَجبت) (رواه البخاري).

روى أبو هريرة – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (تهادوا تحابوا) رواه البخاري، لذا نجد أن الزبير بن العوام جاء بهدية إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – وأبي بكر – رضي الله عنه – وهي عبارة عن **قميصين أو جلبابين أبيضين**، قبلهما رسول – صلى الله عليه وسلم –.

وذكر محمد حسين هيكل في كتابه (حياة محمد) لما نزل رسول الله بقباء أتى سلمان الفارسي الذي طالما انتظر مجيئه، جاءه من المدينة بكيس من التمر، وقال: هذا صدقة تصدقت بها عليكم وهو يريد بذلك اختباره، فقال الحبيب – صلى الله عليه وسلم – إنّا لا نأكل الصدقة، وأمره أن يتصدق بها على غيره، وانصرف سلمان وعاد في اليوم الثاني ومعه تمر آخر وقدمه للرسول – صلى الله عليه وسلم – وقال: هذه هدية قدمتها لك، فقبلها – صلى الله عليه وسلم – ودعا له بخير. وهنا أعلن سلمان إسلامه.

- **الهبة**: تعد الهبة مستحبة، إذا قصد بها التقرب لله تعالى، كالهبة لفقير، أو صلة رحم، وتكره إذا كانت بهدف التباهي، أو الرياء، أو من أجل السمعة. **ليكون** الهدف منها الإحسان وتمتين روابط المحبة بين الناس وذاك مقصد من مقاصد الشريعة الإسلامية.
- ركب النبي – صلى الله عليه وسلم – ناقته هو وأصحابه في قباء صوب المدينة والتي كانت تعرف بيثرب ومعناه الفساد؛ فحول اسمها إلى طيبة. وسار يمشي معه الناس حتى بركت عند مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم –، وهو يصلي فيه يومئذٍ رجال من المسلمين. وكان مربدا للتمر لسهيل وسهل وهما غلامان يتيمان في حجر أسعد بن زرارة؛ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حين بركت به راحلته: (هذا إن

شاء الله المنزل). ثم دعا رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجدا، فقالا: بل نهبه لك يا رسول الله، فأبى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أن يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بنى مسجده.

- **ضيافته عند أبي أيوب** – رضي الله عنه –: كان أبو أيوب مثالاً يقتدى به في حسن الضيافة والإيثار، ومن الجدير بالذكر أن الأنصار بذلوا كلّ ما في وسعهم لاستضافة إخوانهم المهاجرين، وآثروهم على أنفسهم، حتى استحقّوا بذلك ثناء الله تعالى، قال عز وجل: **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (سورة الحشر: ٩).
- سمع حبرٌ من أحبار اليهود اسمه عبد الله بن سلام هو أحد المستقبلين للنبي عليه الصلاة والسلام يقول: (يا أيُّها النَّاسُ أفشوا السَّلامَ، **وأطعِموا الطَّعامَ**، وصِلوا الأرحامَ، وصلُّوا باللَّيلِ، والنَّاسُ نيامٌ، تدخلوا الجنَّةَ بسَلامٍ)؛ فأعلن إسلامه.

ثالثاً- الاقتصاد بعد الهجرة في المدينة: حال النشاط الاقتصادي في المدينة قبل مجيء الإسلام:

ا. **عامة الناس كانوا**: ما بين مزارع، وراعٍ للشياه والإبل، وصيّاد، وصانع، وجامع للحطب، هكذا كان وضع الاقتصاد قبل مجيء رسول الله.

ب. **بينما كان اليهود**: يسيطرون على موارد التجارة، ويتعاملون بالربا، ويتحكمون بالأسعار، هؤلاء الذين يتعاملون في الاقتصاد لا تحكمهم قيم أخلاقية، ولا شريعة دينية، إنما يسود بينهم الاستغلال، والسيطرة، والغش، والفساد، والظلم، ومع توارث الأساليب القديمة التي وجودوها في مجتمعهم.

ت. **مجتمع المدينة**: عندما وصل الرسول – صلى الله عليه وسلم – إلى المدينة وبدأ بناء كيان الدولة الإسلامية وآخى بين المهاجرين والأنصار وكان في المدينة في تلك الفترة ثلاثة أحزاب مختلفة: **المهاجرون والأنصار** وهم نواة الإسلام، **المنافقون** كانوا يتألفون من الذين يخفون ميلهم إلى عبادة الأوثان، وعلى رأسهم عبد الله بن أبي، وكان عبد الله يطمع أن يكون ملكا على المدينة وهذه الطائفة قد وصفها القرآن بالمنافقين؛ فيقول: **إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ**

لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ (سورة المنافقون : ١) . **الأحزاب في المدينة وهم اليهود** الذين يكنون ضغائنهم ويضمرون العداوة والبغضاء والحسد، فتحزبوا ضد المسلمين وأصبحوا الأشد خطرا على الدولة الإسلامية فيما بعد .

- **الإيثار وتقاسم الاموال بين المهاجرين والأنصار**: الإيثار هو التقديم والتفضيل، وهو دليل على رسوخ الإيمان والثقة في ما عند الرحمن، وهو علامة حب المرء لإخوانه، وبرهان على سلامة النفس من الجشع والأنانية والطمع، فالإيمان يقتضي أن يجود المؤمن بما لديه في سبيل إخوانِه، وهذا ما دعت إليه السنة النبوية الشريفة في حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله عليه الصلاة والسلام قال: (لا يُؤمِنُ أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحب لنَفْسِه) .

ا. نماذج لإيثار الأنصار: ضرب الأنصار المثل الأعلى في الحب والإيثار لإخوانهم المهاجرين حين قدموا عليهم مهاجرين بدينهم، لا يملكون شيئاً، فالمهاجرون جاؤوهم من مكة لا يملكون شيئا، حيث خرج كل واحد بما يلبسه فقط، مع أن منهم الأغنياء، والتجار، بينما أهل المدينة زراع، والمهاجرون لا يستطيعون العمل بالزراعة. وما حصل كان فوق الخيال؛ يقول الصحابة: ما من مهاجر دخل المدينة، إلا بالقرعة من كثرة تكالب الأنصار على من يأتيهم من المهاجرين، كل منهم يريد أن يضيفه.

ب. الإيثار عند سيدنا سعد بن الربيع الأنصاري – رضي الله عنه –؛ حيث نزل عليه سيدنا عبد الرحمن بن عوف – رضي الله عنه – من المهاجرين، قال له يا أخي: هذه أموالي أجمعها لك – من السوق – أقسمها بيني وبينك، هذا نصفي وهذا نصفك، وهذه هي الأراضي التي أمتلكها أقسمها بيني وبينك، وهذا هو بيتي، وإني متزوج بامرأتين آتي لك بهما حتى ترى أيها تحب لأطلقها لك وتتزوجها بعد أن تفي عدتها، إنه الإيمان والحب والأخوة الصادق، إنه الإيثار، الذي اندثر في زماننا هذا.

ت. إن النبي – صلى الله عليه وسلم – عندما هاجر وصحابته إلى المدينة ذهب إلى الأنصار وقال لهم عن المهاجرين: إخوانكم تركوا الأموال والأولاد وجاءوكم، لا يعرفون الزراعة، فهلا قاسمتموهم؟ فقالوا: نعم يا رسول الله، نقسم الأموال بيننا وبينهم بالسوية، والرسول النبي – صلى الله عليه وسلم – كان يقصد مساعدتهم فقط؛ فقال لهم النبي أو غير ذلك؟ فقالوا له وماذا بعد يا رسول الله؟ قال تقاسمونهم الثمر لأنهم لن يستطيعوا التصرف بالأموال أو الخروج من المدينة لأنها محاصرة فقالوا: نعم يا رسول الله، بمَ يا رسول الله، فقال: بأن لكم الجنة؛ فكان الأنصاري يعمل طوال العام وعندما يثمر الزرع يأخذ التمر

ويذهب به إلى المهاجر قبل أن يذهب إلى بيته، فلا يجلس ليختار الأفضل؛ فيذهب بالتمر كله لأخيه يقول له: اختر ما تشاء، وإني سأتركك ساعة حتى تتخير ما شئت حتى لا يحرجه ثم يعود فيكون المهاجر قد اختار الثمر غير الجيد ويظلون يتشاجرون، كل منهما لا يوافق أن يأخذ الآخر.

ث. لما فتحت خيبر وكثر المال قال النبي للأنصار: جزاكم الله خيراً قد وفيتم بالشروط، فقالوا للنبي يا رسول الله: اشترطت شرطاً واشترطنا شرطاً، وها نحن قد وفينا وإنا لنا عندك الجنة، قال: لكم بما وفيتم. كان الأنصاري يستضيف أخاه من المهاجرين وليس في بيته من الزاد إلا قوت صبيانه فيؤثره على نفسه وعياله قائلاً لزوجه: نومي صبيانك واطفئي السراج وقدمي ما عندك للضيف ونجلس معه إلى المائدة نوهمه أننا نأكل معه ولا نأكل ويجلسون إلى المائدة ويأكل الضيف وحده ويبيت الزوجان طاويين ويغدو الأنصاري إلى النبي – صلى الله عليه وسلم –؛ فيقول له: (لقد عجب الله من صنيعكما بضيفكما الليلة).

لقد مدح الله تعالى مواقف الأنصار العظيمة في سورة الحشر فقال: **وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** (الحشر: ٩). وولفضلهم ومكانتهم أورد الإمام البخاري رحمه الله باباً خاصاً بهم سماه باب مناقب الأنصار، ذكر فيه مجموعة من الأحاديث الشريفة في فضائلهم – رضي الله عنهم –، كقول النبي – صلى الله عليه وسلم –: (الأَنْصَارُ لاَ يُحِبُّهُمْ إِلاَّ مُؤْمِنٌ، وَلاَ يُبْغِضُهُمْ إِلاَّ مُنَافِقٌ، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللَّهُ) وقال أيضاً: (آيَةُ الإِيمَانِ حُبُّ الأَنْصَارِ، وَآيَةُ النِّفَاقِ بُغْضُ الأَنْصَارِ).